

التفسير العلمي للقرآن

ظفر إسحق أنصاري*

خصص بلجون Baljon في كتابه المنشور عام 1961 بعنوان: "التفاسير الإسلامية الحديثة للقرآن" جزءاً للتفسيرات العلمية للقرآن.¹ وقد ظهرت في عقد السبعينات من القرن العشرين، مؤلفات رئيسية لثلاثة مؤلفين على الأقل، تهتم ببحث التفسيرات الحديثة للقرآن، هؤلاء هم الذهبي والشرقاوي وجانسن -الذين خصصوا مساحات واسعة لتوضيح وتحليل هذا التوجه، في كتبهم عن "التفسير"، وبالأخص في العصر الحديث.² هذا البحث هو بمثابة تنمة لتلك الدراسات. سوف يأخذ علماً بهذا التوجه، ثم يغطي، إلى حد ما، نفس الموضوعات التي غطاها العلماء الآخرون. وعليه فإنّ هذه الدراسة سوف تسلط الأضواء على دراسة هذا التوجه خلال ربع القرن الماضي بشكل عام. وبالنظر إلى معرفة الكاتب باللغات العربية والإنجليزية والأردية، فسوف تنحصر الدراسة بشكل أساسي في الدراسات التي كتبت بتلك اللغات، وسوف تركز على العالم العربي، وجنوب آسيا والبلدان الناطقة باللغة الإنجليزية.

أولاً: القرآن: كتاب هداية أم كتاب علم!؟

كان القرن الثامن عشر نقطة فاصلة في الصراع بين المسلمين والأوروبيين. وجاء الاحتلال الفرنسي لمصر عام 1798 تنويجاً لتغير ميزان القوة بين الجانبين. وطوال ذلك القرن، أتيح للمسلمين فرصة كبيرة للتفاعل مع الأوروبيين. وقد تم هذا التفاعل بشكل رئيسي في أراضيهم حيث وجدوا أنفسهم وجهاً لوجه مع

* مدير معهد البحوث الإسلامية، وأستاذ في الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد، باكستان.

¹ Baljon, J.M.S. Modern Koran Interpretation 1880-1960, Leiden: Brill, 1961, pp. 188-98.

² الذهبي، محمد د حسين. التفسير والمفسرون ، ط 3، القاهرة : مكتبة وهبة، 1985 ، بالأخص انظر المجلد 2، ص454-468 و475-496.

- الشرقاوي، عفت محمد. اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث، القاهرة: مطبعة القليلي، 1972، ص367-377.

- Jansen, J.J.G. The Interpretation of the Koran in Modern Egypt, Leiden: Brill, 1974, pp. 35-54.

- الرومي، فهد عبد الرحمن. منهج المدرسة العقلية الحديثة، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1407هـ، ص269-283.

الأوروبيين ليس في صورة جنود فحسب وإنما في صورة علماء وأطباء ومهندسين وتجار وإداريين. بيد أنه أتى للمسلمين كذلك مشاهدتهم في بعض بلدان أوروبا، وأن يلبسوا بعض الانطباعات حول طريقة معيشتهم ومؤسساتهم وتوجهاتهم. ونتيجة لذلك، وبينما كانت هنالك بعض نواحي الحضارة الأوروبية التي لم ترق لهم، إلا أنهم وجدوا في نواحي أخرى ما أثار إعجابهم. ومن أكثر الجوانب التي نالت إعجابهم في مجمل التقدم الأوروبي الحديث، هو جانب اعتبره المسلمون عنصراً أساسياً في قوة الأوروبيين ورخائهم - ألا وهو التقدم الهائل الذي تم تحقيقه في ميادين المعرفة، وبالأخص في ميدان العلوم والتكنولوجيا.³

وبمرور الزمن، انتبعت أعداد متزايدة من المسلمين إلى إدراك الحاجة لاستيعاب المعرفة الأوروبية الحديثة، وبالأخص العلوم والتكنولوجيا.⁴ لقد تم التوصل إلى إدراك هذه الحاجة لأسباب متعددة، نظرية وعملية، وبغض النظر عن الاعتبارات النظرية، فقد تبين بأن اقتناء المعرفة الحديثة هو الوسيلة الوحيدة المتاحة لدى المسلمين للتغلب على ضعفهم العسكري المتنامي، وجمودهم الاقتصادي وتأخرهم. وخلال القرن التاسع عشر، ازداد التوجه بين المسلمين لاقتناء ما بدا لهم جوانب نافعة من العلم الأوروبي الحديث. وقد أدرك الحاجة الملحة لذلك عدد من الحكام والمفكرين المسلمين، ومنهم السلطان محمود الثاني (1839)، ومحمد علي باشا (1849)، وخير الدين التونسي (1889)، ورفاعة الطهطاوي (1871)، وجمال الدين الأفغاني (1897)، ومحمد عبده (1905) والسيد أحمد خان (1898) - جميع هؤلاء رفعوا أصواتهم داعين إلى اقتناء تلك العلوم والمعرفة. وقد بادر أولئك الذين يمتلكون القوة السياسية، والذين أدركوا الحاجة إلى تحسين

³ Hourani, Albert. Arabic Thought in the Liberal Age 1798-1939, London, Oxford, New York: Oxford University Press, 1970

- Lewis, Bernard. The Emergence of Modern Turkey, 2nd ed., London, Oxford, New York: oxford University Press, 1968

- Khan, Gulfishan. Indian Muslim Perceptions of the West During the Eighteenth Century, Karachi: Oxford University Press, 1998

⁴ Jansen, J.J.G. The Interpretation of the Koran in Modern Egypt, p.41

بالأخص التالي : "من الواضح أن هناك صلة بين ظهور علم التفسير العلمي الحديث (بين المسلمين) وبين بداية تأثير الغرب على العالمين العربي والإسلامي . في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أصبحت أراضي المسلمين أكثر فأكثر تحت الحكم الأوروبي . وأصبحت مصر نفسها تحت الحكم الأوروبي. وأصبحت مصر نفسها تحت حكم الجيش البريطاني في عام 1882. تمكن الأوروبيون من هذا الحكم فقط بواسطة تفوقهم التكنولوجي. وقد كان مصدر تعزية لكثير من المسلمين الأتقياء أن هذه التفاسير الجديدة تؤكد أن العلوم والأساليب التي مكنت الأوروبيين من حكم المسلمين استندت إلى مبادئ وقوانين ذكرها القرآن من قبل.

الأوضاع على المستوى العملي، وتأثروا بما شاهدوه من مؤسسات وآراء لدى أوروبا، بادروا إلى إحداث عمليات التغيير.

إن الظاهرة الحديثة في إعطاء تفسير علمي للقرآن، بدأت في رأينا مناقشة تستهدف تشجيع المسلمين على اقتناء المعرفة في ميدان العلوم الطبيعية. كان الدعاة لهذا التوجه يقولون بأن من واجب المسلمين أن يفعلوا ذلك لأنه ليس في ذلك ما يُعدّ مكروهاً، بل إنه أمر جدير بالإطراء. وبمرور الزمن، أضيفت حجج ومعطيات جديدة لذلك التوجه، كما سنرى لاحقاً. أحد أهم تلك المعطيات هو أن القرآن (والسنة) يحتويان على عدد كبير من الحقائق العلمية، والتي لم يتم اكتشافها إلا في العصر الحديث، بعد قرون عديدة من نزول القرآن. وقد تم تقديم الآيات القرآنية التي اعتقد أنها تحتوي على حقائق علمية، بشكل واثق على أنها دليل على إعجاز القرآن. لقد كانت الحجة التي تقدم أن القرآن يتضمن بشكل كبير حقائق أساسية حول خلق الكون، بل في الحقيقة، مجموعة هائلة من الحقائق والقوانين العلمية مثل نظرية الانفجار الكبير. ويذكر ذلك لإثبات أن القرآن يشتمل على معرفة الله غير المحدودة، وليس مجرد معرفة الإنسان المحدودة. وبالنظر إلى ما تقدم، فإن بعض العلماء المسلمين أصبحوا الآن يقولون، بأن القرآن ليس فقط مصدراً يعتمد عليه للتعرف على الله، وعن الحياة الآخرة، وحول المبادئ التي يجب أن يتمحور حولها السلوك الإنساني، بل أنه كذلك مصدر يمكن الاعتماد عليه للمعارف العلمية.⁵

لقد كان العنصر القائم وراء تفسير القرآن، على امتداد ألف وأربعمائة سنة مضت، هو أن القرآن بشكل عام يحتوي على الهداية التي يحتاج إليها الإنسان لكي يعيش حياة طيبة في العالم الحالي، والتي تمكنه من تحقيق النجاح في العالم الآخر. وهذا يتطلب، أولاً، الإيمان، والذي يتطلب بدوره الحاجة إلى شرح فحوى ذلك الإيمان؛ وثانياً، أن عليه أن يكون سلوكه مستقيماً. وكما نعلم، فإن ما جاء في الآية (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) يلقي تفسيره في مجمل الآيات القرآنية. وقد لا يكون بعيداً عن الصحة القول بأن المهمة

⁵ النجار، زغلول. مصادر المعرفة العلمية: المبدأ الجيوجرافي للجبال في القرآن. هيرندن: جمعية العلماء والمهندسين المسلمين والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1991.

الأساسية التي يوجه القرآن الحديث إليها، هي إعطاء وصف واضح للصرط المستقيم الذي يجمع بين الإيمان والعمل الصالح.⁶

لقد كان المسلمون على الدوام، يعتبرون القرآن محتويًا لجميع المعلومات الأساسية التي تتعلق بحاجة الإنسان الأساسية تلك. بيد أنهم بالكاد نظروا إليه بوصفه مصدرًا للمعارف الشاملة في جميع الميادين، بالمعنى الحرفي لهذا التعبير. إن أولئك الذين كانوا ميالين إلى الاعتقاد، أو اعتبروا كذلك، بأن القرآن يحتوى المعرفة جميعها، بما في ذلك معرفة العلوم الطبيعية، كانوا قلائل. وكان من الممكن التعرف عليهم لسبب بسيط هو أن توجههم كان مناقضًا لتوجه التيار العام لعلماء الأمة. لقد حاول الذهبي، في سعيه لمعرفة جذور التفسير العلمي الحديث للقرآن، في التراث العقلي الإسلامي القديم. ولكنه في سعيه ذلك لم يعثر على أكثر من ثلاثة علماء في هذا التوجه: الغزالي، وجلال الدين السيوطي وأبو الفضل المرسي.⁷ هذا، على الرغم من الحقيقة بأن البيانات التي صدرت عن بعض أولئك العلماء، والتي تقول بأن القرآن هو مصدر معرفة حقائق علمية محددة، هي أقوال غامضة وذات طابع غير جازم.⁸

ثانياً: الربط بين تخلف المسلمين وإهمال الآيات الكونية في القرآن

إن تيار التفسير العلمي للقرآن عبر عن نفسه، أو أنه نال قسطاً من الذبوع، في كتابات عدد قليل من العلماء المسلمين في النصف الأخير من القرن التاسع عشر. أحد هؤلاء كان محمد ابن أحمد الإسكندراني، وهو عالم الطبيعة المصري الذي نشر في القاهرة عام 1880 كتاباً بعنوان: "كشف الأسرار عن النورانية القرآنية فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية". وكتاب آخر صدر في استنبول عام 1883. كان عنوان هذا الكتاب "تبيان الأسرار الربانية في النبات والمعادن والخواص الحيوانية". في الكتابين كليهما تم شرح أسئلة

⁶ ما ذكر ربما يكون محاولة غير متقنة لبيان المواضيع الرئيسية في القرآن. للإيضاح، لتصريحات دقيقة ومصاغة جيداً انظر:

- دهلوي، شاه ولي الله. تفسير كي تشاند ضروري أصول (الفوز الكبير في أصول التفسير)، ترجمة راشد أحمد أنصاري مع محمد تقى عثمان، لاهور: أدهارا إسلاميات، 1982، ص4-5. انظر أيضاً:

- الزركشي، بدر الدين. البرهان في علوم القرآن، القاهرة: الحلبي، 1975، مجلد 1، ص 16-21

⁷ ذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق، مجلد 2، ص 454-464. الحجّة بأن القرآن يحوي كل نوع من المعرفة. بما في ذلك العلوم، مسندة بآيتين من القرآن (6:38 و 16:89). وإذا راجعنا تفسير هاتين الآيتين فإنه سوف يتضح أن تلك الحجّة واهية.

⁸ المرجع السابق.

تتعلق بالعلوم الفيزيائية في ضوء آيات قرآنية بدت للمؤلف مناسبة للإجابة على تساؤلاته. وقد مثل هذا التوجه في مصر أيضاً أحمد مختار الغازلي، مؤلف كتاب "رياض المختار"، وعبد الله فكري باشا وكان طبيباً، ومحمد توفيق صدقي (1920)، مؤلف كتاب "الدين في نظر العقل الصحيح"، القاهرة (1323هـ)، وعبد العزيز إسماعيل، مؤلف كتاب "الإسلام والطب الحديث" القاهرة (1938).

بيد أن هذا التوجه بلغ نضوجه في كتابات الطنطاوي جوهرى وعلى الأخص في تفسيره المسلمى "الجواهر في تفسير القرآن الكريم، 1940م⁹ وهو مؤلف ضخمة يتألف من 26 مجلداً. أكد الجوهرى أن القرآن يحتوي على 750 آية تتصل بشكل واضح بفيزياء الكون. وهناك، بالإضافة إلى ذلك، عدد من الآيات عن الموضوع ذاته، وإن لم تكن متصلة في رأيه بشكل مباشر بعلوم الكون. ومن الناحية الأخرى، يوضح الجوهرى بأنه لا يوجد هنالك أكثر من 150 آية قرآنية تتصل بالشؤون القانونية.¹⁰ وينحى الجوهرى باللائمة بشدة على العلماء المسلمين بسبب تجاهلهم إلى حد كبير لموضوع له شأن أساسي في القرآن ألا وهو العلوم الطبيعية – وأنهم ركزوا بدلاً من ذلك، على سنن الشريعة، والتي تحتل في نظره مرتبة أدنى بكثير. وهنا وهناك، يخاطب الجوهرى المسلمين بحماس أن يغيروا من أولوياتهم، وأن يعطوا أعلى درجة ممكنة من الأهمية للعلوم الطبيعية. والاقتراب التالي يعطينا فكرة عن اندفاعه الجوهرى في آرائه ومشاعره حول الموضوع:

"يا أمة الإسلام ... هنالك بضع آيات من الميراث، والتي تضم مجرد قسم للحساب، ولكن ماذا عن السبعمائة وخمسين آية التي تتجمع فيها جميع عجائب الدنيا...؟ هذا هو عصر العلوم. هذا هو العصر الذي يضيء فيه نور الإسلام ضياء تاماً. هذا هو عصر تقدمه. إذا كنت فقط أود أن أعلم، لماذا لا نبذل الجهود بالنسبة للآيات المتصلة بالعلوم الكونية، بنفس النهج الذي اتبعه أسلافنا في التركيز على الآيات المتصلة بالميراث؟ ولكنني أقول، والحمد لله بأنكم سوف تقرؤون في هذا التفسير لب العلوم. إن دراسة هذه العلوم هي أعلى من دراسة علوم الأحوال الشخصية، لأن الأولى هي "فرض كفاية"، بينما الثانية، تهدف إلى

⁹ جوهرى، طنطاوي. الجواهر في تفسير القرآن الكريم، القاهرة: البابي الحلبي، 1340-1351.

¹⁰ كون الآيات القرآنية عن الكون تفوق عدداً تلك التي تتناول التشريع أصبح موضوعاً متكرراً في الخطاب المعاصر. الرقم 750 أشير إليه من قبل عدد كبير من الكتاب الذين يشتركون في الاعتقاد نفسه، وهذا يظهر تأثير الجوهرى على شريحة من المفكرين المسلمين اللاحقين.

زيادة المعرفة وبالتالي تقود إلى إيمان أعمق. وهذا هو واجب كل فرد "فرض عين" على كل واحد يستطيع اقتناء تلك العلوم.¹¹

يبدو مما تقدم، أنه في المراحل الأولى، وبالمقارنة مع علماء جنوب آسيا، كان علماء مصر الأسبق والأبرز في الدعوة إلى التفسير العلمي للقرآن هذا، على الرغم من أن السيد أحمد خان، في جنوب آسيا، انغمس في العلوم الطبيعية وكانت آراؤه الدينية تحمل بصمات العلوم السائدة في زمنه. وفي الحقيقة، فقد ذهب أحمد خان في نظر بني دينه بعيداً جداً في هذا الاتجاه إلى درجة أنهم أطلقوا عليه بازدراء لقب "نوخاري" (الطبيعية). فقد فسر السيد أحمد عدداً كبيراً من الآيات القرآنية في إطار من العلوم الطبيعية بحيث أنه فسر جميع الآيات التي تتضمن المعجزات. ورغم ذلك، فقد أدرك السيد أحمد خان أنه، ومن أجل التوصل إلى الحقائق العلمية، فإنه يتوجب على المرء أن يتبع بالدرجة الرئيسية المنهج العلمي، بدلا من النظر إلى محتويات الكتب السماوية. ولهذا السبب وجد السيد أحمد خان نفسه في جدال طويل مع القضايا الناشئة عن التنازع بين الدين والعلم، وبذل جهوداً مضنية لوضع مجموعة من القواعد التي من شأنها التوفيق بينهما. إن الطريقة التي انتهجها لحل الخلاف كانت بإعلان أن الطبيعة هي من صنع الله، وأن القرآن -وهذا ما يعتقد المسلمون بكافة- هو كلام الله. وفي الحالات التي ينشأ فيها نزاع بين الاثنين، فقد وضع السيد أحمد قواعد محددة لحل الخلاف. ومع ذلك، وإذا ما درسنا الأقسام المتعلقة بذلك في التفسير، أو في كتاباته الأخرى، فإننا نجد دون شك، بأنه أكثر ميلاً إلى صنع الله مما هو إلى كلامه.¹²

وبمرور الزمن، فإن خطوط التماس بين العلم والإسلام أصبحت أكثر ضبابية في عقول الكثيرين من المفكرين المسلمين في القرن الحالي. ومع ذلك، فإن تطور هذا التوجه أدى إلى ظهور أكثر من موقف واحد، بل عدة مواقف واتجاهات، فيما يتعلق بالعلاقة بين الإسلام والعلوم، والنهج الصحيح في تفسير الآيات القرآنية، والتي لها علاقة بشكل أو بآخر بفهم القضايا التي تتضمنها العلوم الطبيعية.

11 الذهبي، محمد حسين. التفسير والمفسرون مرجع سابق، ص 483-484

12 خان، السير سيد أحمد. تفسير القرآن، لاهور: دوست أسوشيتيس، 1994. انظر أيضاً:

أحد المواضيع التي نواجهها بازدياد في الأبحاث الإسلامية المعاصرة، هي أن القرآن يحث على التزود بالعلم. وفي توضيح وجهة النظر هذه، تتم الإشارة إلى مجموعة كبيرة من الآيات التي تذكر فيها في الظواهر الطبيعية كعلامات من علامات الله، أو التي تحث الإنسان على النظر في الظواهر الطبيعية والتأمل فيها.¹³ وبعبارة أخرى، فإن هذه الآيات تتلى لكي تبين بأنه إذا نظر الإنسان بعناية إلى الظواهر الطبيعية وتأمل فيها، فإن معلوماته العلمية سوف تنمو، وهو هدف مستحب. وهكذا، فإن التسلح بالعلم ليس فقط استجابة لرغبة الإنسان الكامنة لمعرفة أوسع عن الكون -وتسخير تلك المعرفة- معرفة السنن التي تسير الكون لخدمة أهدافه. وينظر إليها كذلك بأنها عمل ديني يستحق الإثابة، بل إنها واجب ديني.

نجد هذه الفكرة في أقوى وأفضل تعبير عنها، على لسان شاعر فيلسوف جنوب آسيا محمد إقبال (1938). إننا نجد تعبيراً عن هذه الفكرة في مختلف أشعاره، ولكنه عبر عنها بشكل مؤثر ومنظم، كما هو متوقع، في مؤلفه "تجديد الفكر الديني في الإسلام". ويقتطف إقبال عدداً كبيراً من الآيات القرآنية التي تذكر علامات الله في الظواهر الطبيعية، أو تلك التي تدعو إلى التأمل فيها. وفي عمله هذا، فقد اقتبس نفس الآيات تقريباً التي اقتبسها غيره من علماء المسلمين ومفكريهم في القرن الحالي.¹⁴ ولكن إقبال عزا إليها مغزى أكبر كثيراً: وفي المقام الأول، فقد ساهمت تلك الآيات في تكوين العقل المسلم، وفيما بعد تركت أثراً كبيراً على تاريخ الإنسانية.

ويدرك إقبال بأن الهدف المباشر من القرآن، في هذا التأمل للطبيعة، هو أن يوقظ في الإنسان الوعي في ذلك الذي تعتبر الظواهر الطبيعية رمزاً له.¹⁵ ويؤكد إقبال بأن الآيات التي تحض على النظر المتأمل للطبيعة، إنما يمثل الروح الحقيقية للثقافة الإسلامية من حيث أنها، ولأغراض المعرفة، تركز نظرها على المحسوس

¹³ إن دراسة دقيقة عن الآيات التي تدور حول هذا الموضوع ستظهر أن الهدف الحقيقي من هذه الآيات ليس الحث على تأمل الظواهر الطبيعية، إنما هو تمكين المؤمنين من الارتقاء من مراقبة الحقائق الصغيرة عن الكون إلى إدراك الحقائق الكلية التي تكشف علم الله وقوته وحكمته ورحمته، الحقائق التي تظهر بشكل كامل أن الحياة الحالية سوف تتبعها مرحلة النشور والحياة الآخرة.

¹⁴ انظر، على سبيل المثال، القرآن 2: 164، 25: 45-46، 17: 20، 30: 22، 13: 14، 84: 16-19، 28-20، 16: 12، 41: 20، 24-44، 10: 66، 25: 62، 31: 27، الخ.

¹⁵ Iqbal, Muhammad. The Reconstruction of Religious Thought in Islam. Lahore: Institute of Islamic Culture, 1982, p.13

المتناهي.¹⁶ هذه السمة هي سمة مميزة للفكر وللحضارة الإسلامية، تميزها عن التراث الفكري الإغريقي، والذي تفاعلت معه في المراحل الأولى من تاريخها. لقد كان اهتمام الفكر اليوناني الأساسي ينصب على النظرية أكثر منها على الحقيقة. ولننظر إلى ما قاله إقبال في شرح وجهة نظره هذه:

"القرآن يرى علامات الحقيقة النهائية ... في الطبيعة ككل - كما هي مكشوفة لحس الإنسان ورؤيته. وواجب المسلم هو التأمل في هذه العلامات، وليس المرور بها مرور الكرام وكأنه "أصمّ وأعمى". ذلك أن الذي لا يرى تلك العلامات في هذه الحياة، سوف يظل أعمى بالنسبة لحقائق الحياة الآتية. وهذا التوجه نحو المحسوس، جنباً إلى جنب مع الإدراك البطيء بأنه ووفق تعاليم القرآن، فإن الكون ديناميكي في أصوله، متناهِ وقابل للتوسع، هذا الإدراك وضع الفكر الإسلامي في نهاية الأمر في وضع مضاد للفكر اليوناني، وهو الفكر الذي استقوا منه في مطلع حياتهم الفكرية الكثير وبحماسة شديدة.¹⁷

فلا عجب إذن، للأسباب التي ذكرناها أعلاه، أن نقول بأن إقبال اعتبر "ميلاد الإسلام" بمثابة ميلاد للفكر الاستقرائي.¹⁸ وقد كان إقبال واعياً للإسهامات التي قدمها العلماء المسلمون لمختلف فروع المعرفة العلمية، مثل الرياضيات، وعلم النجوم والفيزياء والكيمياء. ومع أهمية تلك المساهمات لحقول محددة من ميادين المعرفة، فإن ما أثار حماسة وإعجاب إقبال هو تصوره لدور الإسلام التاريخي في تطوير العقل الإنساني. لقد كان الدور المركزي للإسلام في التاريخ هو أنه، وبوحي من تعاليمه، كان سبباً في تطوير الروح العلمية والطريقة العلمية اللتين تشكلان أساس جميع المنجزات العلمية في العصر الحديث. إن الكثير مما أكد عليه إقبال قد أصبح جزءاً لا يتجزأ من النقاش الإسلامي المعاصر حول مسألة الإسلام والعلم.¹⁹

وكثير من المفكرين الإسلاميين الذين كتبوا حول الموضوع على قناعة تامة بأن الآيات التي تتحدث عن العلامات بالنسبة للظواهر الطبيعية، أو الآيات التي تحث على النظر والتأمل فيها، تعني بأن من واجب المسلمين الانغماس في الأبحاث العلمية، وأن مثل هذه المتابعة تعتبر من الواجبات الإسلامية المطلوبة. كان

¹⁶ Ibid, p. 131

¹⁷ Ibid, p. 126

¹⁸ Ibid, p.125

¹⁹ Ibid, p. 129-131

إقبال مدركاً، وكما ذكرنا آنفاً، بأن الهدف الأساسي المباشر من وراء النظرة التأملية للطبيعة والتي يبحث عليها القرآن هو "إيقاظ وعي الإنسان لذلك الذي تعتبر الطبيعة رمزاً له."²⁰ وبعد قراءة الكثير مما كتب ومازال يكتب حول الموضوع، وملاحظة نقاط التركيز الأساسية فيها، فإن الانطباع الذي يأخذه المرء، هو أن ملاحظة إقبال التي أشرنا إليها أعلاه، والتي صيغت بأسلوب منمق وغامض بحيث لا يستوعبه سوى النخبة القليلة من العقول، لم تترك أثراً ذا أهمية تذكر على مستمعيه وقارئييه. شخصياً، كان إقبال على إيمان راسخ بالروحانية الإسلامية وتعاليمها، فهو يرى أن التأمل في الطبيعة سيذكر الإنسان بالضرورة بالخالق. لقد كان هذا الإيمان جزءاً أساسياً من كيانه. وللكثيرين ممن جاءوا بعد جيل إقبال، بدت لهم الظواهر الطبيعية وكأنها لا تدعو لأكثر من ممارسة العلم ووضع قوانين وقوى الطبيعة في خدمة الإنسان.

ثالثاً: جهود الكشف عن التطابق بين علوم الطبيعة والآيات الكونية في القرآن

وقد قدم العلماء المسلمون في العقود الأخيرة موضوعاً في هذا النقاش، وإن كان جزءاً من المناقشات الإسلامية فيما مضى، إلا أنه بدأ جديداً. لقد رأينا كيف أكد إقبال بقوة، الدور التاريخي للثقافة الإسلامية، في ميلاد الطريقة التجريبية، والتي، وكما أكد إقبال، كانت الطريقة التي تمكن الإنسان فيها من التوصل إلى الحقائق العلمية. ومع ذلك، لا يبدو بأن إقبال كان يفكر بأنه وبقراءة متأنية للقرآن، بدلاً من اللجوء للنظر والتأمل والتجربة، يمكن توسيع آفاق وحدود العلم، أو أن باستطاعة الكتاب السماوي أخذ مكان متطلبات وقواعد البحث العلمي. صحيح، إن المرء لا يعثر على أية أقوال قاطعة في النقاش الدائر حالياً حول الإسلام والعلم، من شأنها نفي فعالية الطريقة التجريبية، ولكن يمكن للمرء أن يلاحظ تأكيداً متزايداً على أن القرآن هو مستودع يحفظ الحقائق التاريخية. وما دام الأمر كذلك، فإن المرء يختار في وضع يده على العلاقة المحددة بين المصدرين -القرآن والطريقة التجريبية- التي يستعملها رجال العلم. ومع ذلك، فهذه مسألة سوف نعود إليها لاحقاً.

ويبدو أن هدفاً أساسياً يدفع أولئك الذين يقولون بأن القرآن هو مستودع العلوم، هو تقوية إيمان الناس بالقرآن. وبكلمات أخرى، فإنها وسيلة لإثبات أنه، وبغض النظر عن التأكيدات السابقة حول إعجاز القرآن لغوياً، الخ، فإن للقرآن إعجازاً آخر عالي الشأن يتمثل في الإعجاز العلمي.²¹

ومن بين أهم علماء طبقات الأرض المعاصرين، الذي يجمع بين معرفة علوم الأرض، مع معرفة شاسعة بالإسلام، هو زغلول النجار. يوضح النجار بأن القرآن يؤكد باستمرار على أن الجبال هي أوتاد للأرض. ما دامت أنها تمسك بأطراف السطح بقوة لئلا تميد بنا، فإنها تخدم أوتاداً لتثبيت الأرض. ويقول النجار أن هذه الحقيقة لم تصبح معروفة إلا في منتصف القرن التاسع عشر، أي بعد ثلاثة عشر قرناً من نزول القرآن.²²

واختتم النجار بحثه بالإشارة إلى ما توصلت إليه العلوم في الفترة الأخيرة، فيما يتعلق بالجبال فيقول:

"هذه هي أمثلة قليلة من مجموعة كبيرة من الشهادات التي تثبت الطبيعة الإلهية للقرآن ومصداقية الرسالة المحمدية، حيث لم يعرف أي إنسان أي شيء حول مثل هذه الحقائق قبل منتصف القرن التاسع عشر، وأن الصورة لم تكتمل بشكلها الحالي قبل عقد الستينات."²³

كان موريس بوكاي، في كتابه "الكتاب المقدس والقرآن والعلوم" يتمتع بشعبية كبيرة بين القراء المسلمين خلال العقدين الماضيين. وكان المنطلق الأساسي في كتابه هذا هو أنه لا يمكن وجود أي تعارض بين الحقائق العلمية الثابتة وبين الوحي. وأوضح بوكاي بأنه قد درس درجة التطابق بين "النصوص القرآنية ومواد العلم الحديث الثابتة،²⁴ وأن هذه الدراسة قد دفعت به إلى الاستنتاج بأن القرآن لم يتضمن قولاً واحداً يمكن دحضه من وجهة نظر العلم الحديث."²⁵ وقد مضى إلى عمل الدراسة نفسها بالنسبة للعهد القديم والجديد، وكانت النتيجة مختلفة تماماً. وحتى في الكتاب الأول في سفر التكوين، وجد بوكاي أنه يحتوي على

21 شكلت رابطة العالم الإسلامي في مكة منذ عقد الثمانينات من القرن العشرين لجنة تسمى "لجنة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة".

22 النجار، زغلول. مصادر المعرفة العلمية: المبدأ الجغرافي للجبال في القرآن، مرجع سابق، ص 47-50

23 المرجع السابق، ص 50.

24 Bucaille, Maurice. The Bible, the Qur'an and Science, Lahore: Progressive Books, n.d., p. vii

25 Ibid, p. viii

أقوال بعيدة كل البعد عن الحقائق العلمية الحديثة الثابتة ثبوتاً لا شك فيه.²⁶ ومن المهم أن نذكر بأن بوكاي اختتم كتابه بالكلمات التالية:

"وبالنظر إلى مستوى المعلومات التي كانت موجودة في عهد محمد، فإن من غير الممكن التصديق بأن كثيراً من الحقائق العلمية التي تضمنها القرآن، يمكن أن تكون من عمل الإنسان. يضاف إلى ذلك، أنه من الأمور المحققة تماماً، ليس فقط اعتبار القرآن تعبيراً عن وحي الهي، ولكن أيضاً، إعطاء القرآن مكانة خاصة جداً، بسبب ضمان المصدقية الذي يقدمه، واحتوائه على حقائق علمية، من شأنها إذا درست اليوم، أن تشكل تحدياً لشرحها في مضامين إنسانية."²⁷

كتب عبد الرزاق نوفل من مصر، عدداً من الكتب الشائعة حول علاقة الإسلام بالعلوم. وفي الفصل الأول من كتابه "القرآن والعلم الحديث" تحت عنوان "إعجاز القرآن"، يصف المؤلف القرآن بأنه "المعجزة الدائمة." وذكر نوفل بأن المسلمين في الماضي ركزوا على بعض أوجه الإعجاز القرآني مثل البلاغة، والسلاسة والتنبؤ بأحداث ثبت وقوعها فيما بعد، وكذلك في ما تضمنه من تشريعات.²⁸ ويضيف نوفل إلى ما تقدم قائلاً: "أنه في الزمن الحالي أصبح الإعجاز العلمي في القرآن أمراً لا يمكن نفيه." وأضاف أن التقدم العقلي في العلوم في الزمن الحالي قد أثبت بأن القرآن هو كتاب علمي، وقد تضمن مجموعة من القواعد الأصولية لجميع حقائق العلم والحكمة. وكلما برزت إلى الوجود حقيقة علمية جديدة، نرى بأن القرآن إما أن يكون قد لفت الأنظار إليها، أو على الأقل، قد أشار إليها.²⁹ ويمضي نوفل إلى التذليل على إعجازات القرآن العلمية فيذكر أولاً آية من الآيات، ثم يلفت النظر إلى الحقائق العلمية الثابتة في عصرنا الحالي والتي تبدو متفقة تماماً مع ما جاء في القرآن. ويذكر على سبيل المثال الآية: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: 30). وعندما طور لابلان نظريته حول خلق السماوات والأرض، كما يقول نوفل: "اعتبر ذلك نصراً للعلم، علماً بأن القرآن

²⁶ Ibid, p. viii

²⁷ Ibid, pp. 251-52

²⁸ نوفل، عبد الرزاق. القرآن والعلم الحديث، القاهرة: دار المعارف، 1959، ص 11

²⁹ المرجع السابق، ص 24

قد جاء بتلك النظرية قبل عشرات القرون.³⁰ وتساءل نوفل: "ولو أننا أوضحنا للعالم غير العربي، بأن القرآن هو معجزة علمية، وأنه كتاب يطوي في صفحاته الحقائق الأساسية للعلم الحديث، وحتى آخر ما توصل إليه العلم من مكتشفات، ألا تكون هذه الظاهرة كافية لإقناع الغربيين حول الطبيعة الإعجازية للقرآن؟"³¹

وهناك كتاب آخر أثار اهتماماً عظيماً لدى المسلمين ألا وهو كتاب كيث مور الشهير حول علم الأجنة، تحت عنوان "الإنسان المتطور". إننا نشير هنا إلى الطبعة الثالثة من هذا الكتاب والتي نشرت مع "إضافات إسلامية": دراسات متقابلة مع القرآن والحديث" لمؤلفها عبد المجيد أ. الزنداني. الزنداني عالم معروف في اليمن والذي يعتبر الموجه الروحي للجنة المختصة بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة، والتي ذكرناها سابقاً.

في مقدمته للكتاب، يذكر مور أن النص في هذه الطبعة هو نفس النص في الطبعة الأصلية، ما عدا أن هنالك إشارات عديدة لآيات قرآنية وأحاديث نبوية حول علم الأجنة تمت إضافتها. وأضاف إلى ما تقدم قائلاً:

"في بادئ الأمر، أصابني الدهشة من دقة الحقائق التي سجلت في القرن السابع بعد الميلاد، وقبل أن يكون علم الأجنة قد ولد. ومع أنني كنت أدرك عظمة تاريخ العلم الإسلامي في القرن العاشر بعد الميلاد، ومساهمته لعلوم الطب، فإنني لم أكن أعرف أي شيء حول الحقائق الدينية والمعتقدات التي تضمنها القرآن والسنة. وأن من المهم لطلاب العلم الإسلاميين وغيرهم فهم معاني تلك الآيات القرآنية فيما يتعلق بتطور الإنسان بالقياس مع ما توصل إليه العلم الحديث."³²

30 المرجع السابق.

31 المرجع السابق.

32 Moore, Keith. The Developing Human: Clinically Oriented Embryology, published with Islamic Additions by AbdulMajeed A. Azzindani, III ed., Jeddah: Dar al Qiblah, 1983, p. viii c.

يبدو مفهوماً أن مور كان عليه أن يقول ذلك. إنه ليس من السهل فهم جزء من المقالة في "ملاحظة الناشر" والتي كتبت من قبل دار القبلة للأدب الإسلامي، جدة: "دعني أوضح نقطة هنا. هذا القرآن، بالرغم من صوفه وتأكيداته للبيانات العلمية الحديثة، فهو كتاب

الأمر المهم بالنسبة لنا في هذا البحث ليس آراء كيث مور. ما يهمنا هو مغزى المساهمات التي تضمنتها الإضافات، والأسباب الكامنة وراء تلك الإضافات. ويجب هنا الاعتراف بأن الإضافات تمثل دراسة شاملة ودقيقة جدا للمواد الموجودة في القرآن والسنة، فيما يتعلق بعلم الأجنة. أما بالنسبة لأهداف هذا البحث، فيجب الرجوع إلى "المقدمة للزيادات الإسلامية" بقلم الزناداني نفسه حيث يقول:

"القرآن والحديث في مناسبات كثيرة يثان الإنسان على النظر والتأمل في خلق الله. الأبحاث الحديثة، التي استخدمت الأساليب الحديثة في البحث، حول عدد من الحقول الوارد ذكرها في القرآن والسنة، قد أعطت ويا عجباً، نتائج مماثلة. وإذا تحدثنا عن المضمون فإننا نجد بأن هنالك توافقاً بين البيانات الحرفية الواردة في القرآن والحديث، الذي نزل قبل 1400 عام، وبين الحقائق العلمية المتوفرة في عصرنا هذا والتي تثبت بالدلالات العلمية. وقد لفت هذا التوافق العجيب بين النصوص القرآنية والحديث من جهة، والحقائق العلمية الثابتة من جهة أخرى، نظر العلماء المسلمين وغير المسلمين. وسوف يجد علماء الأجنة، وقد انتابتهم الدهشة، أن الآيات القرآنية التي أوحيت إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قبل 1400 سنة وفي أحاديث السيرة، هي متطابقة مع الحقائق العلمية التي تثبت صحتها في يومنا هذا. وسيجد علماء الأجنة وقد تملكهم العجب، أن النصوص القرآنية التي نزلت على النبي محمد صلى الله عليه وسلم قبل 1400 سنة، وكذلك في الأحاديث، قد كشفت النقاب عن مراحل تطور الأجنة، وعن حقائق كانت غير مفهومة لدى البشر على مدى عصور منذ نزول الوحي القرآني في القرن السابع بعد الميلاد. ولا حاجة إلى القول بأن التوافق التام بين العلم والنصوص القرآنية، سوف يصبح أكثر وضوحاً لأن القرآن هو كلام الله الذي وسعت معرفته كل حقيقة."³³

هداية في الأساس. كونه "ذلك الكتاب لا ريب فيه" (البقرة: 2)، فإنه يجب أن يؤكد ذلك الذي يبينه العلم من خلال الملاحظة والمشاهدة والتجربة.

رابعاً: مخاطر التأكيد على تطابق علوم العصر الحالية مع القرآن

وعلى الرغم من الكم المؤثر من البراهين الذي قدمه العلماء وأشرنا إليهم آنفاً، وعدد آخر غيرهم لم نأت على ذكرهم بسبب ضيق المساحة، فما زالت هنالك عدة أسئلة خطيرة جداً تتصل بالعلاقة ما بين القرآن والعلم، والتي يتوجب معالجتها بقدر عال من الجدية والدقة العلمية.

أحد نقاط الضعف التي يبيدها أولئك العلماء الذين يؤيدون فكرة إعجاز القرآن علمياً، هو التسرع الآني في إظهار التوافق ما بين القرآن والعلم. ويبدو أنهم ينجرفون بسرعة كبيرة وإلى حد بعيد بهذه الحماسة، على حساب الانضباط العلمي والنضوج الفكري. ويبدو أنهم يقفزون إلى نتائج، وإلى التوصل لاستنتاجات بدافع من الرغبة في إثبات نظرية أكثر من السعي وراء الحقيقة. إن الخطاب الإسلامي الحالي مليء بنماذج التسرع وقلة الزخم الفكري. إن تخصصي الذاتي لا يمنحني الحق في الحكم على نظريات مثل نظرية الانفجار الكبير، وما إذا كانت صحتها قد ثبتت علمياً أو أنها ما زالت افتراضاً قابلاً للجدل. ولكن يبدو أن عدداً من العلماء المسلمين يلجئون إلى القرآن، بدافع من حميتهم، بالرجوع إلى آية أو آيتين لكي يبينوا بأن القرآن قد قال منذ زمن بعيد بالنظرية ذاتها التي يقول بها العلماء اليوم. (إن وجهة نظري أنه، وحتى لو لم يتضمن القرآن أية آية تدعم نظرية الانفجار الكبير، فإن القرآن سوف يظل مقدساً بسبب كونه كلام الله). ولكن دعنا ننظر في عدد من الأمثلة على الحمية التي أشرنا إليها، لاستنباط آيات من القرآن تدعم النظريات العلمية المتجددة دوماً، من أجل الدلالة على عظمة القرآن.

دعنا ننظر في واحد من الكتب حول الموضوع والذي كان متداولاً بين العلماء المسلمين في السنوات الأخيرة، كتاب وضعه نوربكي. سنجد في هذا الكتاب إن نظرية الانفجار الكبير قد تم إثباتها في الكتاب المذكور،³⁴ بالرجوع إلى الآية ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (الفلق:1). فالفعل "فلق" تعني أن يقسم، أن يشطر، أن يمزق، أن يسبب الانفجار. ففي الآية هذه، وآخذين بعين الاعتبار المفهوم العام لهذه السورة القصيرة (سورة الفلق)، فقد فسر العلماء المسلمون هذه السورة على النحو التالي: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾. والآن،

³⁴ Nurbaki, Haluk. Verses from the Holy Koran and the Facts of Science, Metin Beynam (tr.), Karachi: Indus Publishing Corp., 1992

ومادام معنى الفلق موجود هنا، فقد أخضعت لتفسيرات عسيرة من قبل العالم هلوك نوربكي، بحيث أعرب عن الرأي بأن كلمة أعوذ برب الفلق الذي سبب الانفجار الذي أدى إلى خلق الكون. وهكذا، فقد اختار المؤلف أن يترجم الآيتين الأولتين في سورة الفلق على الوجه التالي "أعوذ بالله من (ما بعد نظرية الانفجار الكبير الذي ولد الكون) من شر المخلوقات." والكاتب نفسه، من بين كتاب آخرين، أشار إلى الآية: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات: 47) لقد فسر هذه الآية كما فسرنا غيره كالآتي: "لقد وسعنا الكون."³⁵

ولننظر إلى كتاب فاتح الله خان (الله، الكون، الإنسان، القرآن الكريم والآخرة).³⁶ إنه يفسر الآية نفسها (الذاريات: 47) بمعنى أن "العالم قد بني بالقوة." وبمضي المؤلف في تفصيل وجهة نظره على الوجه الآتي: إن الإشارة إلى هذه القوة والتي بنيت منها الذرة، تتضح من نظرية آينشتاين النسبية (الطاقة=الكتلة X مربع سرعة الضوء). وهكذا، فإن الكون كله قد بني بالقوة. أما النصف الثاني من الآية فقد اعتبر بأنها تعني تمدد وتوسع الكون بموجب النظرية الشهيرة للكون المتمدد والمتوسع. وإن جمع النصفين من هذه الآية معاً يعني الكون المبني على القوة والذي هو في حالة توسع.³⁷

والمشكلة الكبيرة الأخرى في هذا التوجه أنها على ما يبدو، تبدل وضع الأولويات الأساسية في القرآن. فالآيات القرآنية، بموجب هذا التوجه، تقول لنا أكثر ما تقول عن حقائق الكون، وكأن القرآن مصدر أساسي من المصادر العلمية. واضح أن هذه الحقائق حول الكون يمكن أن يكتشفها الإنسان بمحاولاته. وواضح كذلك أن الظواهر العلمية المشار إليها على أنها مشتقة من الآيات القرآنية، كانت في حقيقة الأمر

³⁵ انظر أيضاً: ص 232 وما بعدها 35. Ibid, pp. 308-314.

من وجهة نظري أشعر بارتياح تام إزاء الفهم التقليدي لقوله تعالى "بيناها بأيدٍ" وعليه تؤاد الآية قدرة الله على الخلق، خلق شيء حتى لو كان صعباً مثل السماء . هذا يبدو أنه معزز باستعمال كلمة أيدٍ ، والذي يشير إلى أن الله نفسه خلق السماء، دون مساعدة من أحد، لأنه يملك القدرة على فعل ذلك.

³⁶ Khan, Fateh Ullah. God, Universe and the Man: The Holy Qur'an and the Hereafter, Lahore: Wajidalis, 1982.

³⁷ Ibid, p. 48

حتى ولو كان من غير المعقول، هذا التفسير يبدو خالياً من البعد الروحي المثري للتفسير التقليدي والتي تذكر بقوة بالخالق المقدر العظيم.

وفي معظم الحالات، قد اكتشفتها أناس غالباً ما يكونون من غير المسلمين، قبل أن يقدمها عالم مسلم أو آخر على أنها دليل على الإعجاز العلمي للقرآن. ولكن إذا وضعنا كل ذلك جانباً، تبقى نقطة يجب بحثها بكل جدية: ما هي المنطلقات الأساسية في القرآن؟ ما هي الأشياء التي يسعى القرآن إلى توصيلها لبني الإنسان؟ بالنسبة إلى هذه الناحية، فإن مما ينير الطريق أمامنا أن ننظر فيما قاله شاه ولي الله.

القرآن يعالج خمسة مواضيع لا أكثر. أولاً: الفرائض، التي تقول لنا ما هي المحرمات الإلزامية وما هي المكروه من جهة، أو ما هو محرم شرعاً وغير قانوني من جهة أخرى. هذه الفرائض تتراوح ما بين أداء فرائض الصلاة والمعاملات... الخ. هذا الموضوع هو من اختصاص الفقهاء. ثانياً، الجدل مع أولئك الذين ضلوا السبيل: اليهود، والنصارى والمشركين والمنافقين. هذا الموضوع متروك لمعالجة رجال الدين. ثالثاً، القصص الذي ينطوي على تذكير الخلائق بنعم الخالق "تذكير بالله" بخلقه السماوات والأرض، وكيف أن الله قد مكن جميع الخلائق من كسب رزقها، وبيان الكمال الإلهي. رابعاً، تذكير الخلق بأيام الله، أي كيف عامل الله الأقسام السالفة في العصور الخوالي، وكيف أنه أنعم على بعضهم وأنزل العقاب على البعض الآخر. خامساً، تذكير الناس بالموت وما الذي سيحدث في الآخرة.

والذي يبدو أن ما يسمى بالآيات العلمية في القرآن، في رأي شاه ولي الله تأتي في المرتبة الثالثة من الأولوية في الترتيب - تذكير بالله. ويجب التأكيد هنا بأن الأرض، والسماوات والنبات والمطر والبحار والجبال - كلها ليست الأمور التي نزل الوحي لكشف النقاب عنها لبني الإنسان. إن الآيات التي تتحدث عن ظواهر الطبيعة، وبالأخص "الآيات (أو العلامات والمؤشرات)" تهدف، في المدى الذي نستطيع فهمه، إلى لفت نظر الإنسان إلى تلك الحقائق الصغيرة الدقيقة، من أجل أن يتمكن من الوصول إلى الحقائق التي هي أكبر وأهم من الظواهر الطبيعية. وأن النظر إلى تلك الآيات بتجاهل للإطار الذي وضعت فيه، هو الحكم عليها بمعزل عن الأغراض المتوخاة من نزولها، وإلى إهمال الاهتمامات الأساسية التي نزل القرآن من أجلها، وبالتالي تشويه معاني تلك الآيات وتحويلها عن معانيها ومغزاها الحقيقية.

وبالطريقة ذاتها، فإن البيانات المطلقة التي تبحث معاني القرآن والتي تدعي بأنه يشمل العلوم جميعها من كل حقل وميدان، تبدو خالية من أي سند قوي في التراث الإسلامي. بيانات مثل تلك التي تذهب إلى

حد القول في بعض الأحيان، بأن القرآن هو "منهج مقرر في العلوم"³⁸ هي أقوال لا يمكن أخذها على محمل الجد من قبل علماء متزنين، عاقلين ناضجين ومسؤولين. فمن جهة، فإن التوجه الذي تقوم على أساسه تلك البيانات المفعمة بالحمية، قد تنتهي إلى وضع مخالف لهدفها، مهما كانت الدوافع العاطفية، إذا ما أخضع القرآن إلى التطور العلمي المستديم، وإخضاع العلماء المسلمين إلى تبعية ذليلة، بوضعهم على الدوام في وضع المتتبع لإنجازات العلم واختراعاته، وإرغامهم على تحميل الآيات ما لا يجب تحميلها من تأويلات، لجعلها مطابقة للمخترعات الجديدة. ومن ناحية أخرى، فإن الادعاءات المبالغ فيها بأن القرآن هو مصدر العلوم الأساسية، من شأنها أن تخلق غموضاً معلوماً أو فوضى أشد من ذلك. وسوف يلحق ذلك الضرر بالعلم وبالدين كليهما.

³⁸ Syed, Ibrahim B. (ed.) Islamization of Attitudes and Practicies in Science and Technology, Herndon, VA: The International Institute of Islamic Thought and the Association of Muslim Social Scientists, 1989, p.119.